سبب وُرود الحديث في الصّحيحيْن
(طريقة إِيراده ومنزلته بين الرّوايات)

إعـــــداد

د. ماريه بسام محمد عبد الرحمن
أستاذ مساعد في جامعة الحدود الشمالية
المملكة العربية السعودية

ملخص:

يُعدّ علم أسباب الورود من العلوم التي اهتمّ بها المحدثون لما لها من فوائد جليلة في فقه النص، وقد اتبع المحدّثون في روايته وتصنيفه منهجا واضحا؛ ولأهميّة هذا العلم جاءت هذه الدّراسة بعنوان:" سبب ورود الحديث في الصحيحين (طريقة إيراده ومنزلته بين المرويات)؛ تهدف إلى إبراز مدى اهتمام المحدثون بسبب الورود منذ فترة مبكرة، وبيان مظاهر ذلك الاهتمام، والكشف عن منهجية البخاري ومسلم في إيراد السبب، وذلك باتباع المنهج الاستنباطي، وقد خلص البحث إلى عدّة نتائج منها؛ بدأت عناية المحدثين بسبب الورود منذ وقت مبكر، وظهرت مظاهر تلك العناية في الصحيحين، باتباع منهجية متكاملة في إيراد السبب، وتقديم الرواية التي تتضمنه على غيرها في حال صحتها.

الكلمات المفتاحية: سبب ورود، الحديث، الصحيحين، طريقة، منزلة.

Abstract:

The science of the causes of roses is one of the sciences that Hadith narrators care about because of its great benefits in the jurisprudence of the text. Because of the importance of this science, this study came under the title:(The reason for the hadith in alsahihin)" How to pass it on and its status among novels".; It aims to highlight the extent of interest of modern speakers due to roses from an early period, and to demonstrate the manifestations of that interest, and to reveal the methodology of Bukhari and Muslim in citing the reason, by following the deductive approach, and the research concluded several results, including: The care of the modernists started because of the roses from an early time, and the manifestations of that care appeared in Al - Sahihin, using an integrated methodology in citing the reason, and presenting the narration that includes it in the case of its authenticity.

Keywords: reason - hadith - alsahehine - Importance - method

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن علم أسباب الورود من العلوم التي اهتمّ بها المحدثون رواية وفقها وتأليفا لما لها من فوائد جليلة في فقه النص، وخطوا لأنفسهم طريقا واضحا في تعاملهم مع أسباب ورود الحديث، لا يُماري في تميّزها إلا من لا فقه له بصنيع المحدثين، ولأهميّة ذلك؛ جاءت هذه الدراسة بعنوان:" سبب ورود الحديث في الصحيحين"(طريقة إيراده ومنزلته بين المرويات)، بهدف التعرف على منهج المحدّثين في التعامل مع سبب الورود، وبيان دوره في فقه النص فهما عميقا وسليما.

أهميّة البحث:

تكمن أهميّة هذا البحث في أنه يتناول منهجية إيراد سبب الورود عند الشيخين في صحيحيهما؛ اللذان يعدّان من أصح الكتب بعد كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ، وتلقتهما علماء الأمّة بالقبول، وقد ظهر هذين الكتابين في فترة مبكرة في القرن الثالث الهجري حيث ازدهار السنّة؛ كإشارة إلى أنّ سبب الورود كان حاضرا في أذهان المحدّثين حتى ولم تظهر التصانيف فيه كعلم مستقلّ إلا في فترة متأخرة.

حدود البحث:

نماذج تطبيقيّة في إيراد سبب الورود عند الشيخين في صحيحيهما.

مشكلة البحث:

تدور حول التساؤلات الآتية:

- هل اهتمّ المحدّثون بسبب ورود الحديث منذ فترة مبكّرة؟

- ما هي مظاهر أهميّة سبب الورود في الصّحيحين؟
- ما هي منهجية الشيخان في إيراد السّبب في صحيحيهما؟

هدف البحث:

- أولا: إبراز مدى اهتمام المحدثون بسبب الورود منذ فترة مبكرة.
- ثانيا: بيان مظاهر أهمية سبب الورود في منهجية البخاري ومسلم في إيراده.
- ثالثا: الكشف عن منهجية البخاري ومسلم في إيراد السّبب.

منهجيّة البحث: اعتمدت هذه الدّراسة المنهج الاستنباطي؛ وذلك باختيار نماذج من أسباب الورود المذكورة في الصحيحين، ثمّ النظر فيها والتأمل لإدراك المنهجية التي اتبعها الشيخان في إيراد السبب وذلك بربطها بالمقدّمات التمهيدية.

الدّراسات السّابقة:

من الجدير بالذّكر أنّ هناك دراساتٌ عدّة عرضت موضوع أساليب ورود الحديث من جوانب متعدّدة؛ أهمّها:

١ـ "أسباب ورود الحديث تحليلٌ وتأسيس"، دراسة قدّمها الدكتور محمد رأفت سعيد[1]؛ عرض فيها أهمّ الأسس في حسن الفهم، وثنّى بعد ذلك بتناول موضوع أسباب ورود الحديث من حيث بداية نشأة هذا العلم، وارتباطه بسبب النزول، ولم يتناول منهج الشيخان في إيراد سبب النزول في صحيحيهما.

٢ـ " علم أسباب ورود الحديث وتطبيقاته عند المحدّثين والأصوليين وجمع طائفة ممّا لم يصنّف من أسباب الحديث"، دراسة قدّمها الدكتور طارق أسعد حلمي الأسعد؛ لنيل درجة الدكتوراه، وقد ساد الطابع الأصولي على الرسالة من حيث وعورة اللغة، والتي

حالت دون الاستفادة الكافية من هذه الدّراسة التي اشتملت على بابين؛ الأول في بيان مفهوم هذا العلم وموضوعه وفوائده وأقسامه وبيان علاقته بسبب النّزول، ومنزلته في تفسير النّصوص وتطبيقاته عند المحدثين والأصوليين، والباب الثاني جمع فيه الباحث أسبابا أخرى لورود الحديث ممّا لم ينصّ عليه أصحاب المؤلفات السابقة، ولكن هذا الكتاب رغم شرطه بأنه سيذكر تطبيقات المحدّثين إلا أنه لم يتناول ما يخصّ المحدّثين إلا في صفحات وجيزة؛ الأمر الذي جعله يخرج بنتيجة غير موضوعيّة وهي؛ اتهام المحدّثين بالتقصير[٢].

٣ـ "علم أسباب ورود الحديث الشّريف"، للدكتور بدر عبد الحميد هميسة[٣]؛ حيث عقد الباحث دراسته في مقدمة وخمسة مباحث، عرّج من خلال ذلك على التعريف، والتفريق بين سبب الورود وسبب النزول، وذكر فوائد معرفة السبب، وأقسام السبب، و علم أسباب ورود الحديث تطبيقا، ولم يذكر منهج الشيخين في الإيراد.

٤ـ "أسباب ورود الحديث، مؤلفاته، أقسامه، فوائده"، للدكتور عادل العوني[٤]، عرض فيه الباحث مقدّمات حول تعريف سبب ورود الحديث، وذكر المؤلفات فيه قديما وحديثا وما وصلنا منها وما لم يصل، وعرّف بتعريف موجز للكتب التي وصلتنا منها، ثم عقب بذكر الدراسات المعاصرة التي اهتمت بأسباب ورود الأحاديث دراسة وتحليلا، وفرّق بين سبب النزول في القرآن وسبب الورود، وبين وجوه الاتفاق، ثم عقب بعد ذلك بذكر أقسام سبب الورود، وفوائد معرفة سبب الورود، وختم دراسته بالإشارة إلى بعض القواعد الأصولية التي لها علاقة بهذا المبحث، ولم يتناول منهج الشيخان في الإيراد.

والمتأمّل فيما سبق يلحظ أنّ الدّراسات السّابقة لم تعرّج على منهج البخاري ومسلم في إيراد السبب في كتابيهما، لذلك جاءت هذه الدّراسة لتجلية منهجهما في إيراد السبب وبيان مظاهر أهمية سبب الورود عندهما.

خطة البحث:

ولقد قسمت الباحثة الدّراسة إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة؛ تشمل أهمّ النتائج والتوصيات، على النحو الآتي:

- المبحث الأول: مقدّمات مهمة في سبب الورود، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: تعريف سبب الورود، ونبذة عن تطوّر التأليف فيه، وبيان أهميته.
- المطلب الثاني: أبرز الملامح المنهجية للمؤلفات التي وصلت إلينا.
- المبحث الثاني: مكانة سبب الورود عند الشيخين، ومنهجهما في إيراده، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: مكانة الحديث المتضمّن سبب الورود عند البخاري ومسلم.
- المطلب الثاني: منهج البخاري ومسلم في إيراد الروايات التي تضمّنت سبب الورود.
- الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

سائلا المولى عز وجلّ أن يوفقنا للهدى والصّواب، وأن يعلمنا ما ينفعنا، ويسدّد خطانا. وباللّه التوفيق.

المبحث الأول

مقدّمات مهمّة في سبب الوُرود

يتناول هذا المبحث مقدّمات مهمّة حول سبب ورود الحديث؛ من حيث تعريفه، ونُبذة عن تطوّر التأليف فيه، مع بيان أهميّته في الرّواية وفقهها، كما يتناول أبرز الملامح المنهجيّة للمؤلفات التي وصلت إلينا في أسباب الوُرود؛ مثل كتاب اللُمع في أسباب الوُرود للسّيوطي، والبيان والتعريف في أسباب ورود الحديث لابن حمزة الدّمشقي على النّحو الآتي:

المطْلب الأول

تعريف سبب الورود، ونبذة عن تطوّر التأليف فيه، وبيان أهميّته

أوّلا: تعريف سبب الوُرود

عرّف علماء اللّغة السّبب؛ بأنّه الحبْل، أو كلّ شيء يُتوصّل به إلى مطلوب [٥].

أمّا سبب الورود في الاصطلاح؛ فقد ورد فيه عدّة تعريفات ومنها:

- ما عرّفه الهروي بأنّ سبب وُرود الحديث هو؛ السّبب الذي لأجله حدّث النّبي ﷺ- هذا الحديث [٦].

- تعريف أبا شهبة بقوله:" هو علمٌ يُبحث فيه عن الأسباب الدّاعية إلى ذكر رسول اللّه- ﷺ- الحديث أوّلا، وهذا السّبب قد يكون سؤالا، وقد يكون قصّة، وقد تكون حادثة فيقول النّبي- ﷺ- الحديث بسببه أو بسببها"[٧].

والنّاظر للتعريفات السّابقة يلمح أنّ تعريف الهرويّ أشمل وأدّق وأوجز، وأنّ التعريف الآخر فيه وصف وزيادة تفصيل.

ثانيا: نشوء علم سبب ورود الحديث، ومراحل التأليف فيه

إنّ المتتبّع لتطوّر هذا العلم لا بُدّ له من أن يفرّق بين أمرين مهمّين وهما؛ نشأة علم أسباب الورود كعلم له أسسه وأصوله ولم يُدوّن كعلم مستقلّ، وبين ظهوره كعلم مستقلّ مدوّن في الكتب روايةً أو دراية، ويُشير ابن دقيق العيد إلى أنّ علم أسباب الورود جاء متأخرا بالنسبة للتأليف في علم أسباب النّزول في القرآن الكريم[٨].

وترى الباحثة؛ أن العلماء ربّما اكتفوا بما تناقلوه مُسندا من الأحاديث المتضمّنة هذا السبب في كتب الرواية.

ولقد نوّه بعض أهل المصطلح في كتبهم بهذا العلم إشارة؛ من خلال بيان فائدته أو التعريف به، أو ذكر من ألف فيه من السّابقين ومن ذلك؛ ما صنّفه أبو حفص العكبريّ (٣٩٩هـ) [٩] وبعض شيوخ القاضي أبي يعلى بن الفرّاء[١٠] (٤٥٨هـ)[١١]، وصنف فيه ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ولم يُكمله[١٢]، وكلّ هذه المؤلفات لم تصلنا، أمّا الذي وصلنا منها؛ فأول عمل هو ما كتبه البُلقيني (٨٠٥هـ) في محاسن الاصطلاح بشكل غير مستقلّ مع مباحث أخرى، والسّيوطي(٩١١هـ) بكتاب مستقلّ سمّاه "اللُمع في أسباب الحديث"؛ وابن حمزة الحسينيّ الحنفي الدمشقي (١١١٠هـ) في كتابه: "البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشّريف"[١٣].

والمتتبّع لصنيع المؤلفين في هذه المؤلفات يرى اهتمام أصحابها بأهمية العزو والتمييز عند ذكر السبب؛ فقد ذكر ذلك السيوطي، ونعى على المؤلفات التي تفتقر لذلك[١٤].

ثالثا: أهميّة سبب الورود في فقه النص

تبرز أهمّية سبب الورود في مجال فقه النّص وفهمه وتوضيحه، وإزالة الاختلاف الظاهري، لذلك كان معرفة سبب الورود من أولويات الشّراح والأصوليين والفقهاء، وكان

هذا واضحا من خلال تطبيقاتهم، ووعى المحدثون أهميّة السبب في تجلية النص، وما يقود إليه من معرفة العلة الباعثة على تشريع الحُكم وإدراك مقصده؛ وذلك بمعرفة الظروف والملابسات التي جاء الحديث بسببها، وهذا يفيد في عدّة أمور:

- دقة الأحكام وتنزيلها على الوقائع في حال القياس [١٥].
- معرفة الخاصّ والعام، وتعيين المجمل بالاستعانة بقرينة السِّياق [١٦].
- معرفة الناسخ والمنسوخ [١٧].

المطْلب الثاني

أبرز الملامح المنهجيّة للمؤلفات التي وصلت إلينا في أسباب الورود.

أولا: أسباب الورود عند البُلقيني

لم يفرد البُلقينيّ (٨٥٢ه) كتابا مستقلاً في أسباب الورود، ولكن ضمّنه كتابه محاسن الاصطلاح؛ تحت النوع التاسع والستون بعنوان" معرفة أسباب الحديث"؛ فيكون البُلقِينيّ بذلك من أوائل الذين صنّفوا في علم أسباب الورود كعلم مدوّن خاصّ ولكن غير مستقلّ بذاته، بل إلى جانب علوم أخرى من علوم الحديث، وتعامل مع هذا النوع معاملة خاصّة؛ إذ حشد مجموعة من الأحاديث بأسبابها كأمثلة، مع التقعيد، وبيان كيفية التصنيف في هذا الميدان [١٨]، وللبُلقِينيّ منهج دقيق؛ حيث يتتبّع طرق الحديث المختلفة للوصول إلى سبب الورود ، ويميّز بين درجاته في القبول، والصّحة؛ فتراه يقول في إيراده حديث " الخَراج بالضّمان" [١٩]:" والأخذ بالسّبب المرفوع أقوى" [٢٠].

ثانيا: اللمع في أسباب الورود للسّيوطي

عقد السّيوطي فصلا؛ عرض فيه جهود السّابقين في علم أسباب الورود والتأليف فيه، وضمّن كتابه كلام البلقيني في مقدّمته، وأشار السيوطي إلى منهجه وموارده في

كتابه اللمع وهو؛ التتبع من جوامع الحديث، وأخذه نُبذا منها، ثم جمعها في كتابه، وقد رتب السيوطي كتابه على الأبواب الفقهيّة، وأورد في كتابه ثمان وتسعون حديثا ممّن لها أسباب وروده، أمّا أسلوب السّيوطي وطريقته في إيراده الأحاديث؛ فإنه يُورد الحديث ويعزوه، ثم يسوق الحديث مُسندا، ثمّ يقول:"سبب" فيعزو السبب ويسوقه، و يعزو الحديث لمصدره، ويذكر أقوال العُلماء، ويُناقش ويرجّح، ويسوق أكثر من سببٍ في حال تعدد روايات السّبب، ويسير على منهج البلقيني، إلا أنه توسّع في النّوع الذي يذكر فيه السبب بطريق آخر، أو في روايةٍ أخرى (٢١).

ثالثا: البيان والتعريف لابن حمزة الدّمشقي

بيّن ابن حمزة في مقدّمته؛ أنّ معرفة سبب الورود أجل أنواع عُلوم الحَديث، وتتبّع حركة التأليف في هذا العلم ومناهج مَن سَبَقه، كما أشار إلى أنه لم يظفر في عصره بمؤلف مُفرَد غير كتاب السّيوطي، وأشار إلى موارد سبب الورود، مُبيّنا أنّ كتابه هذا إكمالٌ لكتاب السيوطي، ورتّب كتابه على الحروف، وعنى بتخريج الأحاديث من مصادرها (٢٢).

المبْحث الثاني

مكانة سببُ الوُرود عند الشَيخين، ومنهجهُما في إيراده

يتناول هذا المبحث مطلبان؛ الأول جاء ليبّين مكانة الحديث المتضمن لسبب الورود عند البخاري ومسلم، وذلك لبيان أثر ذلك في الإيراد، والمطلب الثاني، يتناول منهجهما في إيراد سبب النزول.

المطْلب الأوّل

مكانة الحديث المتضمّن سبب الورود عند البخاري ومسلم

لسبب الوُرود مكانة عالية عند الشَيخين؛ لذلك فقد حرصا على إيراد الرّواية التي تتضمنه، وتفضيلها على غيرها في حال ثبتَ أن هذا السبب على شرطهما؛ ولبيان ذلك يعرض هذا المطلب نموذجا لروايةٍ وَرَدت بإسنادٍ نازلٍ حَوَت سببَ الورود فأوردها، ورواية أخرى ورد في الكُتب الأخرى سبب نزول لها ولم يذكُراه.

أوّلا: ترجيح الرّواية المقترِنة بسبب الوُرود على الرّواية ذات الإسناد العالي التي لم تقترن به.

لعلَ أبرز ما يُشير إلى مكانة الحديث المتضمّن سبب الورود عند الشيخان هو؛ ترجيح الإمام البخاريَ الرّواية المتضمّنة لسبب الورود حتى لو كان إسنادها نازلا على الرواية التي لم يقترن بها سبب النزول وإنْ كان إسنادها عالٍ؛ وذلك بأن يجعل الأولى مقرونة بالثانية، كما جاء في قصّة الأعرابيَ الذي سأل عن السّاعة؛ على النّحو الآتي:

- الرّواية التي جاءت بإسناد نازلٍ ومُقترنة بسبب الوُرود:

قال البُخاريّ: (حدّثنا محمّد بن سِنان، قال: حدّثنا فليح ح، وحدّثني إبراهيم بن المنذر قال: حدّثنا محمّد بن فليح قال: حدّثني أبي قال: حدّثني هِلال بن عليّ، عن عطاء بن يسار، عن أبي هُريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: بينما النّبي ـ ﷺ ـ في مجلس يحدّث القوْم، جاءه أعرابيّ فقال: متى السّاعة؟ فمضى رسول اللّه ـ ﷺ ـ يحدّث، فقال بعض القوْم: سَمع ما قال؛ فكَرِه ما قال، وقال بعضهم: بلْ لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال:" أين ـ أراه السّائل ـ عن السّاعة" قال: ها أنا يا رسول اللّه، قال:" فإذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانْتظر السّاعة"، قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله فانْتظر السّاعة") [٢٣].

- الرّواية التي جاءت بإسناد عالٍ.

قال البخاريّ في موضع آخر:(حدّثنا محمّد بن سِنان، حدّثنا فليح بن سُليمان، حدّثنا هِلال بن عليّ، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال، قال رسول اللّه ـ ﷺ: « إذا ضُيِّعَتِ .....» [٢٤].

يُلحظ في رواية البخاري الغيْر مُشتملة على سبب الورود أنه كان بينه وبين فليح شيخه محمّد بن سنان، أما الرّواية المشتملة على سبب الورود فقد نزل بها بإدراج واسطتين؛ شيخه، وابن فليح قبل الوصول في السّند لفُليح.

قال ابن حجر:" ولأجْل نُزولها؛ قرنها البخاريّ بالرّواية الأخرى" [٢٥]؛ فالحكمة من رواية البخاريّ بالإسناد النّازل؛ هو اشْتمال روايته على سبب ورود الحديث [٢٦].

ثانيا: لا يورد الشيخان سبب الورود في بعض الأحيان، مع أنه ورد عند غيرهما

بالرغم من مكانة سبب الورود عند الشيخين، والتي اتضحت في تقديمه على الإسناد العالي في المثال السابق، إلا أننا نجد أن الشيخان قد أوردا رواياتٍ دون ذكر سبب ورودها، وقد ذكرت الكتب الأخرى سبب ورود لها ومثاله؛ حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - :"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه[٢٧] "؛ فذكرت هذه الرواية في الصحيحين بدون إيراد السبب؛ ولكن جاء في كتاب أخبار المدينة للزبير بن بكار ذكر السبب؛ فقال عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال: (لما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة وعك فيها أصحابه، وقدم رجل فتزوج امرأة مهاجرة؛ فجلس رسول الله - ﷺ - على المنبر فقال: " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته في دنيا يطلبها أو امرأة يخطبها؛ فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه، ثمَّ رفع يديه فقال:" اللهمَّ انقل عنا الوبا ثلاثا")[٢٨].

وذكر السيوطيّ قصة مهاجر أم قيس من رواية سعيد بن منصور في سننه بسند على شرط الشيخين عن أبي مسعود، صرح فيها أنّ المهاجر سمّيَ؛ مهاجر أم قيس؛ فقال: " يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية ثلاثا "[٢٩].

إنّ المتأمل في منهج الشيخين في إيراد السبب؛ يجد أنّ تعاملهما معه لا يختلف عن تعاملهم مع الأحاديث ذاتها، كلاً منهم حسب شرطه ومنهجه، وهذا لا يحتاج لتمثيل؛ فهو باديٌ لكلّ من نظر في كتابيهما، كما أنهما لم يستقصيا جميع الأسباب، لأنهما لم يشترطا جمع السنن كلها؛ فتركا ذكر سبب الورود في هذا الموضع بسبب شرطهما في الرجال، والتزامهما أعلى درجات الصحة؛ وتفصيل ذلك:

١ ـ أورد ابن حجر قصة مهاجر أم قيس التي رواها الطبراني؛ فقال:(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّائِغُ، ثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «مَنْ هَاجَرَ يَبْتَغِي شَيْئًا فَهُوَ لَهُ»، قَالَ: " هَاجَرَ رَجُلٌ لِيَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: أُمُّ قَيْسٍ، وَكَانَ يُسَمَّى مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ " [٣٠]).

وعقّب ابن حجر على هذه الرّواية بقوله:" وهذا إسنادٌ صحيح على شرط الشّيخين، لكن ليس فيه أنّ حديث الأعمال سيق بسبب ذلك، ولم أرَ في شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك"[٣١].

٢ ـ بتتبع هذه الرواية وتخريجها، وجدتُ ما يؤكّد كلام ابن حجر في أنّه لم يأت شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك إلا رواية الزّبير بن بكّار؛ التي جاءت في كتاب أخبار المدينة، ونقلها السّيوطيّ في كتابه اللمع؛ أنّ الزبير بن بكّار قال:(عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال: لما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة وعك فيها أصحابه، وقدم رجل فتزوج امرأة مهاجرة، فجلس رسول الله ـ ﷺ ـ على المنبر فقال: " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته في دنيا يطلبها أو امرأة يخطبها فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه، ثمّ رفع يديه فقال؛ اللّهمّ انقل عنّا الوبا ثلاثا")[٣٢].

ورواية الزّبير؛ فيها موسى بن محمّد بن إبراهيم التيمي، وهو منكر الحديث جدًا؛ فقد قال فيه البخاري:" عنده مناكير"[٣٣]، وقال النّسائي وأبو زرعة الرازي:" منكر الحديث"[٣٤]، وقال ابن معين:" ليس بشيء، ولا يُكتب حديثه"[٣٥].

المطلب الثاني

منهج البخاريّ ومسلم في إيراد الرّوايات التي تضمّنت سبب الورود

إنّ النّاظر في أسباب الورود التي وردت في الصحيحين؛ يجد أنّ هناك أحاديث اتفقا على روايتها مع ذكر سببها، وأخرى روى سببها أحدهما دون الآخر، وقد كان لهما منهجا في طريقة إيراد السبب إذا كان منفردا، وكذلك إذا تعدّدت أسباب الرواية الواحدة؛ فجاء هذا المطلب لبيان منهجهما في إيراد السّبب في كِلتا الحالتين.

أوّلا: الأحاديث التي اتّفق الشيخان على روايتها بذكر سببها

١ ـ طريقة إيراد السّبب:

أ ـ إيراد الحديث منفصلا عن سببه بمخرج، وذكر سببه بمخرج مُختلف:

أخرج البخاريّ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " ويلٌ للأعقاب من النار " [٣٦]؛ حيث أورده دون ذكر سببه، ولكنّه أخرجه في موضع آخر من طريق عبد الله بن عمرو بذكر سببه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ ، قَالَ: (تخلّف عنا النّبي ـ ﷺ ـ في سفرةٍ سافرناها فأدركنا ـ وقد أرهقتنا الصّلاة ـ ونحن نتوضّأ، فجعلنا نمسح على أرجُلنا، فنادى بأعلى صوته:" ويلٌ للأعقاب من النّار" مرّتين أو ثلاثا) [٣٧].

ب ـ إيراد السّبب في نفس الرّواية:

عَنْ زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ (اتّخذ حُجرة ـ قال: حسِبت أنّه قال من حصير ـ في رمضان، فصلّى فيها ليالي، فصلّى بصلاته ناسٌ من أصحابه، فلمّا علم

بهم جعل يقعد، فخرج إليهم فقال:" قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم؛ فصلوا أيها الناس في بيوتكم؛ فإن أفضل الصلاة؛ صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة" (٣٨).

٢ـ طريقة الشيخان في التعامل مع الأحاديث التي تعددت أسبابها

- أحاديث تعددت أسبابها فروى لها الشيخان أكثر من سبب:

السبب الأول: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ :(جاء أعرابيٌ النبي ـ ﷺ ـ ، فبايعه على الإسلام؛ فجاء من الغد محمُوما فقال: أقلني؛ فأبى ثلاث، فأبى ثلاث مرارٍ، فقال:" المدينة كالكير تنفي خبثها ويتصع طيبها") (٣٩).

السبب الثاني: عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال:(رجع ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ ـ من أحد، وكان الناس فيهم فرقتين: فريقٌ يقول: اقتلهم، وفريق يقول: لا، فنزلت:" فما لكُمْ فِي المنافِقِينَ فِئتيْن" [سورة النساء: آية رقم٨٨] وقال:" إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة")(٤٠).

ثانيا: أحاديث رواها الشيخان فأورد أحدهما السبب ولم يُورده الآخر

فقد رويا عن أبي هُرَيرة ـ رضي الله عنهما ـ ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " لا تبتاعوا الثمار حتى يبدو صلاحها " (٤١)؛ فلم يُورد الإمام مسلم سببه، وأورده البخاريّ عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: (كان الناس في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ يتبايعون الثمار فإذا جدّ الناس وحضر تقاضيهم، قال المبتاع: إنه أصاب الثمر الدُمان، أصابه مُراض، أصابه قشام ـ عاهات يحتجّون بها ـ ؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لما كثرت عنده الخُصومة في ذلك: "فإمّا لا، فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر" (٤٢).

الخاتمة والنتائج والتوصيات

وفي نهاية هذه الجولة في ميدان أسباب الورود، تسجل الباحثة هذه النتائج:

أولا: إن المتتبع لتطور هذا العلم لا بد له من أن يفرق بين أمرين مهمين وهما؛ نشأة علم أسباب الورود كعلم له أسسه وأصوله، وإن لم يدون كعلم مستقل، وبين ظهوره كعلم مستقل مدون في الكتب؛ فقد أوضحت هذه الدراسة أن الشيخان قد أوردا أسباب الورود بين مروياتهما في الصحيحين.

ثانيا: لسبب الورود أهمية كبيرة في فهم النص؛ لذلك شرع المصنفون أمثال السيوطي، وابن حمزة الدمشقي في تأليف كتب خاصة فيه، ذات منهج متكامل متميز، وتناوله الشراح في ميدان التطبيق لفهم النص ومعرفة العلة الباعثة على الحكم، وإزالة التعارض الظاهري ومعرفة الناسخ والمنسوخ؛ لذلك حرص الشيخان في صحيحهما على إيراد الرواية المقترنة بالسبب حتى وإن كان إسنادها نازلا، وتفضيلها على تلك العالية التي لم تقترن فيه، ولكن؛ كل ذلك حسب شرطهما في كتابيهما؛ فسبب النزول الذي لا تثبت صحته، أو لا يكون على شرطهما فلا يلتفتا إليه؛ فقد وردت أسباب نزول في كتب أخرى ولكن تركاها لأجل ذلك.

ثالثا: أسباب الورود التي وردت في الصحيحين؛ منها ما اتفق الشيخان على ذكرها، وأخرى روى سببها أحدهما دون الآخر.

رابعا: للبخاري ومسلم طرقا متعددة في الإيراد، فأحيانا يذكرا الحديث منفصلا عن سببه بمخرج، ثم يذكرا سببه بمخرج مختلف، وأحيانا يذكرا السبب في نفس الرواية.

خامسا: بالنسبة للرواية التي تعددت أسبابها؛ فقد حرص الشيخان على ذكر الرواية بتعدد أسبابها

التوصيات

توصي الباحثة المختصون بالحديث الشريف بما يلي:

- ضرورة تتبع أسباب الورود التي جاءت خارج الصحيحين، ودراستها دراسة استقرائية تحليلية نقدية؛ لمعرفة منهجية المحدثين بشكل متكامل في إيرادهم سبب الورود.

- القيام بدراسة مُصطلحية لعلم أسباب الورود؛ تبيّن فيه القواعد والمبادئ لهذا العلم بشكل مفصّل مع التمثيل والتبويب والترتيب.

وفي الختام: أسأل الله العلي القدير أن يتقبّل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأنْ يتجاوز عن خطايانا، إنه هو البرّ الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

الهوامش

(١) سعيد، محمد رأفت. (١٩٩٤م). *أسباب ورود الحديث تحليلٌ وتأسيس*. قطر: رئاسة المحاكم الشّرعيّة والشؤون الدّينيّة.

(٢) الأسعد، طارق أسعد حلمي. (٢٠٠١م). *علم أسباب ورود الحديث وتطبيقاته عند المحدثين والأصوليين وجمع طائفة مما لم يصنف من أسباب الحديث*. بيروت: دار ابن حزم.

(٣) هميسة، بدر عبد الحميد. (٦/٦/ ١٤٣٠) *علم أسباب ورود الحديث الشريف*. (تمّ استرجاعه: بتاريخ (٧/٨/٢٠٢٠م).

http://www.saaid.net/book/open.php?cat=91&book=5548

(٤) العوني، عادل. (٢٠١٧م). *أسباب ورود الحديث، مؤلفاته، أقسامه، فوائده*. تمّ استرجاعه: بتاريخ (٧/٨/٢٠٢٠م). https://www.alukah.net/library/0/113909/

(٥) يُنظر: الإفريقي، ابن منظور. لسان العرب (٤٥٨/١)، والجُرجاني، علي. كتاب التّعريفات (١١٧/١).

(٦) الهروي: عليّ. شرح نخبة الفكر (ص:١٤٨).

(٧) أبو شَهبة، محمد. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث. (ص:٤٦٧).

(٨) يُنظر: العراقي، طرح التّثريب في شرح التّقريب (٢٥/٢).

(٩) عُمر بن إبراهيم بن عبد الله العُكْبُري، أبو حفص، المعروف بابن المُسلم: فقيه حنبلي، من أهل عُكْبُرا. من كتبه " المقُنع "، و " الخلاف بين أحمد ومالك " و " محاسبة النّفس والجوارح، يُنظر: الزّركلي، خير الدّين. الأعلام (٥ / ٣٨).

(١٠) محمد بن الحُسين بن محمد بن خلف بن الفرّاء، أبو يعلى: عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. من أهل بغداد. وكان شيخ الحنابلة: يُنظر الزّركلي، خير الدّين. الأعلام (٩٩/٦).

(١١) يُنظر: العسقلاني، ابن حجر. نخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر (٧٢٧/٤).

(١٢) يُنظر: الزّركشي، محمد. النّكت على مقدمة ابن الصلاح (٧٠/١).

(١٣) يُنظر: الدمشقي، ابن حمزة. البيان والتّعريف (٣/١).

(١٤) يُنظر: السّيوطي، جلال الدّين. لُباب النّقول في أسباب النّزول (٦/١).

[١٥] يُنظر: العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري (٤٥٢/٣)، والأسْعد، طارق. علم أسباب ورود الحديث (ص:٣٤).

[١٦] يُنظر: العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري (١٨/١).

[١٧] يُنظر: الشّافعي، محمّد. الرّسالة (٢٥٤/١).

[١٨] يُنظر: ابن دقيق العيد، محمّد. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام (٦٢/١)، ويُنظر: السّيوطي، جلال الدّين. اللّمع (٢٩/١ – ٣٠).

[١٩] "حسنٌ صحيح": أخرجه التّرمذي: محمد. في جامعه في أبواب البيوع، باب ما جاء فيمن يشتري العبد فيستغله ثم يجد فيه عيبا، حديث رقم ١٢٧٥(٥٧٣/٣). وقال: "هذا حديث حسن صحيح، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، والعمل على هذا عند أهل العلم".

[٢٠] يُنظر: السّيوطي، جلال الدّين. اللّمع (٢٩/١ – ٣٠).

[٢١] يُنظر: المرجع السّابق (٢٨/١ – ٣٠).

[٢٢] يُنظر: الدمشقي، ابن حمزة. البيان والتّعريف (١/١ – ٤).

[٢٣] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، حديث رقم (٥٩) (٢١/١).

[٢٤] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، حديث رقم (٤٦٩٦) (١٠٤/٨).

[٢٥] العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري (١٤٢/١).

[٢٦] أبو شعر، حمّاد. الحكْمة من رواية البخاريّ بالإسناد النازل(ص:١٢٧).

[٢٧] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي حديث رقم ١ (٦/١).

[٢٨] يُنظر: السّيوطي، جلال الدّين. اللّمع (٣١/١).

[٢٩] يُنظر: المرجع السّابق (٣١/١).

[٣٠] أخرجه الطبراني، سليمان (٣٦٠هـ) في المعجم الكبير، حديث رقم٨٥٤٠ (٩/ ١٠٣)، وقال العراقيّ، زين الدّين عبد الرّحيم (٨٠٦هـ):"إسناده جيد"، المُغني عن حمل الأسْفار في الأسْفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (ص: ١٧٣٢)، وقال الهيثميّ: علي بن أبي

بكر(ت٨٠٧):" رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠١/٢).

(٣١) العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري (١١٠/١).

(٣٢) يُنظر: السّيوطي، جلال الدّين. اللّمع (٣١/١).

(٣٣) البخاريّ، محمّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ). التّاريخ الأوسط (٢/ ١٤٣).

(٣٤) النّسائي، أحمد بن شُعيب(ت٣٠٣هـ). الضّعفاء والمتروكون (ص: ٩٥)، وابن أبي حاتم الرازي: عبد الرحمن (ت٣٢٧هـ). الجرح والتعديل (٨/ ١٦٠).

(٣٥) الجُرجاني: محمّد بن عدي(ت٣٦٥هـ). الكامل في ضُعفاء الرّجال (٨/ ٥٨).

(٣٦) متّفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء، باب غسْل الأعْقاب، حديث رقم (١٦٥) (٤٤/١). ومسلم في صحيحه كتاب الطّهارة، باب وجوب غسل الرّجلين بكمالِهما، حديث رقم ٢٨(٢١٤/١).

(٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم حديث رقم ٦(٢٢/١)، ومسلم في صحيحه كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما (٢١٤/١).

(٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان، باب صلاة الليل حديث رقم (٧٣١)، (١٤٧/١). وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجواز صلاتها في المسجد) (٥٣٩/١).

(٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب المدينة تنفي الخبث، حديث رقم (١٨٨٣) (٢٢/٣) ، ومسلم في صحيحه كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها (١٠٠٦/٢)

(٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب:" فما لكم في المنافقين فئتين"، حديث رقم (٤٥٨٩) (٤٧/٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، (١٠٠٦/٢)

(٤١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، باب من باع ثماره، حديث رقم (١٤٨٦)، (١٢٧/٢)، ومسلم في صحيحه كتاب البيوع، باب النهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، (١١٦٧/٣).

(٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، حديث رقم (٢١٩٣) (٧٦/٣).

فهرس المصادر والمراجع

- الأسعد، طارق. (٢٠٠١م). *علم أسباب ورود الحديث وتطبيقاته عند المحدثين والأصوليين وجمع طائفة مما لم يصنف من أسباب الحديث*. بيروت: دار ابن حزم.
- الإفريقي، ابن منظور. (١٤١٤ هـ). *لسان العرب*. ط٣. بيروت: دار صادر.
- البُخاريّ: محمّد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). *صحيح البُخاري*. ط١. بيروت: دار طوق النّجاة.
- البخاريّ، محمد بن إسماعيل. (١٩٧٧م). *التاريخ الأوسط*. ط١. حلب: دار الوعي.
- التّرمذي، محمّد (١٩٧٥م). *الجامع الكبير*. ط١. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الجرجاني، علي بن محمد. (١٩٨٣م). *كتاب التّعريفات*. ط١. بيروت: دار الكتب العلميّة.
- ابن أبي حاتم الرازي: عبد الرّحمن. (١٩٥٢م). *الجرْح والتّعديل*. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الدّمشقي، ابن حمزة، إبراهيم (د.ت). *البيان والّتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن دقيق العيد، محمّد. (د.ت). *إحكام الإحكام شرحُ عمدة الأحكام*. مطبعة السنّة المحمّدية.
- الزّرَكْلي، خير الدّين بن محمود الدّمشقي. (٢٠٠٢ م). *الأعلام*. ط١٥. بيروت: دار العلم للملايين.
- الزّركشي، محمد. (١٩٩٨م). *النّكت على مقدّمة ابن الصّلاح*. ط١. الرياض: أضواء السّلف.
- سعيد، محمد رأفت. (١٩٩٤م). *أسباب ورود الحديث تحليلٌ وتأسيس*. ط١. قطر: رئاسة المحاكم الشّرعيّة والشؤون الدّينيّة.
- السّيوطي، جلال الدّين. (د.ت). *لُباب النّقول في أسباب النزول*. بيروت: دار الكتب العلميّة.
- السّيوطي، جلال الدّين. (١٩٩٦م). *اللّمع في أسباب ورود الحديث*. ط١. بيروت: دار الفكر.
- الشّافعي، محمّد (١٩٤٠م). *الرّسالة*. ط١. مصر: مكتبة الحلبيّ.
- أبو شَهبة، محمدّ (د.ت). *الوسيط في علوم ومصطلح الحديث*. مصر – دار الفكر العربي.

- الطّبراني، سليمان. (د.ت). *المعجم الكبير*. ط٢. القاهرة: مكتبة ابن تيميّة.
- العسقلاني، علي بن حجر. (١٩٩٧م). *نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر*. ط٥. القاهرة: دار الحديث.
- العسقلاني، علي بن حجر. (١٣٧٩هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة.
- العراقيّ، عبد الرّحيم. (د.ت). *طرح التثريب في شرح التقريب*. الطّبعة المصرية القديمة.
- العراقيّ، عبد الرحيم. (٢٠٠٥ م). *المغني عن حمل الأسفار في الأسفار*، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. ط١. بيروت: دار ابن حزم.
- النّيسابوري، مُسلم. (د.ت). *صحيح مسلم*. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ.
- النّسائي، أحمد بن شُعيب. (١٣٩٦هـ). *الضُّعفاء والمتروكون*. ط١. حلب: دار الوعي.
- الهرويّ، علي بن (سلطان) محمد. (د.ت). *شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر*. بيروت: دار الكتب العلميّة.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر. (١٩٩٤م). *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. القاهرة: مكتبة القدسيّ.
- **المجلات العلميّة**
- أبو شعر، حمّاد. الحكْمة من رواية البخاريّ بالإسناد النّازل. مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد٩(٢). ٩٥ – ١٩٢.
- **المصادر الإلكترونيّة**
- العوني، عادل. (٢٠١٧م). *أسباب ورود الحديث*، مؤلفاته، أقسامه، فوائده. تمّ استرجاعه: بتاريخ (٢٠٢٠/٨/٧م). https://www.alukah.net/library/0/113909/.
- هميسة، بدر عبد الحميد. (٦/٦/ ١٤٣٠) *علم أسباب ورود الحديث الشريف*. (تمّ استرجاعه: بتاريخ (٢٠٢٠/٨/٧م).

http://www.saaid.net/book/open.php?cat=91&book=5548